



المركز الوطني للأبحاث والدراسات
مداد

()

-

ملخص البحث

يعتبر العمل الخيري صمام أمان، ومصدر إنقاذ للفئات الهشة والمحرومة، إذ يشكل لها حماية نفسية، ومالية، وبدنية، وفكرية، تسهم في بث الأمن والطمأنينة والاستقرار في جنبات المجتمع فيعمه الطهر والنقاء والأخوة والتكافل، ولتوضيح ذلك كله ارتأينا تناول موضوع بحثنا الموسوم بـ : **العمل الخيري وأثره في الاستقرار الاجتماعي** من خلال التركيز على كون العمل الخيري يؤدي إلى تحقيق التكافل الاجتماعي، وفض الخصومات والإصلاح بين الناس، والقضاء على الظواهر الاجتماعية السلبية الناجمة عن ظاهرتي العنوسة وتأخر سن الزواج، مع نشر روح العطف والرحمة في المجتمع والتكفل بالعجزة وكبار السن وتوعية الفروع بالإحسان إلى الأصول، ومحاربة ظاهرة الإدمان على المخدرات وأثارها السلبية، مع بعث رسالة المسجد ، وتوظيف العلم النافع ، وتفعيل دور الأوقاف في العمل الخيري وهذا بأكمله من شأنه دون شك أن يؤدي إلى تحقيق الاستقرار الاجتماعي.

المقدمة :

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا، وصل اللهم على سيدنا محمد أفضل الخلق أجمعين، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه إلى يوم الدين أما بعد:

فمما لا شك فيه أن للعمل الخيري دورا فعالا وأثرا بارزا في استقرار المجتمع، وبث روح الطمأنينة والراحة النفسية بين أبنائه، إذ يسهم بشكل ملموس في زرع البسمة على الشفاه، وإبعاد الحيرة عن النفوس التائهة، والسير بها نحو شاطئ الأمان في مجتمع تسوده أواصر المحبة، وروابط المودة، ويعلو فيه نداء الأخوة والتكافل والتآزر من أجل إقامة مجتمع متلاحم مترابط آمن مستقر، هذا ما سنحاول توضيحه في هذه الورقة العلمية الموجهة لملتقاكم المبارك ، وذلك من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: أثر العمل الخيري في إرساء مبدأ التكافل الاجتماعي.

المطلب الثاني: دور العمل الخيري في القضاء على الخصومات والإصلاح بين الناس .

المطلب الثالث: محاربة العمل الخيري للظواهر الاجتماعية السلبية الناجمة عن ظاهرتي العنوسة وتأخر سن الزواج.

المطلب الرابع: نشر العمل الخيري لروح العطف والرحمة في المجتمع والتكفل بالعجزة وكبار السن وتوعية الفروع بالإحسان إلى الأصول.

المطلب الخامس: إسهام العمل الخيري في القضاء على ظاهرة الإدمان على المخدرات وآثارها السلبية.

المطلب السادس: بعث العمل الخيري لرسالة المسجد.

المطلب السابع: توظيف العمل الخيري للعلم النافع لتحقيق الاستقرار الاجتماعي.

المطلب الثامن: تفعيل العمل الخيري لدور الأوقاف قصد تحقيق الاستقرار الاجتماعي .

المطلب الأول : أثر العمل الخيري في إرساء مبدأ التكافل الاجتماعي

إن العمل الخيري يساهم في الاستقرار الاجتماعي وذلك بالقضاء على الظواهر الاجتماعية السلبية كالتسول والتشرد ونقص الغذاء والكساء وتفشي الأمراض، والفاقة في بعض فئات المجتمع، مما تنجر عنه حالات من الاكتئاب، والنقمة على الأغنياء، وحسدهم وبغضهم ، وتمني زوال النعمة عنهم، مما يؤدي إلى نخر أسس وروابط الأخوة والجوار والمحبة والرحمة والمودة والتكافل بين أفراد المجتمع، مما يجعل تدخل العمل الخيري أمرا حتميا للقضاء على ذلك، وتحقيق الاستقرار الاجتماعي، وهذا بإرجاع البسمة على شفاه هذه الفئات الحائرة، وذلك بكفالة الأرامل والأيتام ، وبناء مراكز لإيوائهم ، وإقامة المخيمات العائلية للعائلات المعوزة والمحرومة، وفتح مطاعم الرحمة للإفطار الجماعي، وتوزيع قفة رمضان، وختان أبناء الفقراء وتوفير كسوة العيد لفائدة الفئات الكادحة، وبناء المستشفيات وتوفير العلاج والدواء المجانيين للفقراء وتوزيع الأدوات المدرسية على التلاميذ المعوزين .

فالحاجة خطر على الأخلاق والسلوك إذ تؤثر تأثيرا بالغا على أخلاق الإنسان وسلوكه، فقد تقود بعض الناس إلى السرقة، أو التسول، أو السطو على ممتلكات الغير بدافع سد جوعاتهم وستر عوراتهم، أو بدافع الانتقام من هؤلاء الأغنياء الذين فضلهم الله عليهم في الرزق ، وبخلوا به على أبناء دينهم ومجتمعهم بنزر يسير مما حباهم الله به ، وصدق الشاعر العربي حيث قال :

ومن يتقلب في النعيم شقي به إذا كان من آخاه غير منعم

كما لم يكونوا ممن قال فيهم الشاعر :

يبيتون في المشتى ملاءً بطونهم وجاراتهم غرثى بيتن خمائصا

هذا إضافة إلى أن الفقر المدقع يلجئ بعض الناس قصد تحصيل حاجياتهم ومتطلبات أسرهم الضرورية إلى التلبس ببعض الأخلاق الذميمة للوصول إلى مبتغاهم جاعلين نصب أعينهم مبدأ الغاية تبرر الوسيلة ، فقد يضطرون إلى

الاستدانة والاختلاس والكذب وعدم الالتزام بالعهود ، وكل الخصال الذميمة التي توصلهم لمصدر الغذاء والكساء، مما يؤثر على الأخلاق الفاضلة المنتشرة في المجتمع بل يقوض أركانها من القواعد، وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم خطر الفقر على الفرد إذ يضطره إلى الاستدانة ، وعدم القدرة على الوفاء به بسبب إعساره الشديد مما يجعله يقدم على ارتكاب بعض الكبائر والتلبس ببعض صفات المنافقين كالكذب وإخلاف الوعد مما يؤثر على طهارة ونقاوة المجتمع الذي يعيش فيه، فقد قال صلى الله عليه وسلم : « إن الرجل إذا غرم-استدان-حدث فكذب، ووعد فأخلف»^(١) ، وهذا دليل على أن الفقر في بعض الأحيان يقود إلى الكذب وعدم الوفاء بالعهد وغير ذلك من الآثار السلبية ، فالعمل الخيري يحاول القضاء على الفقر وما ينجر عنه من آثار وبالتالي يحقق الاستقرار الاجتماعي .

كما يساهم العمل الخيري في القضاء على البطالة وما ينجر عنها من آثار سلبية، وذلك بتوفير مناصب شغل للعاطلين عن العمل أو إمدادهم بقروض حسنة يقيمون بها مشاريع صغيرة، تجعلهم بعد فترة يساهمون هم الآخرون في الأعمال الخيرية المنوطة باستقرار المجتمع ، وبناء كينونته ، مما يجعل أثر العمل الخيري مجسدا في واقع الناس وذلك بالمساهمة في الاستقرار الاجتماعي ، عن طريق الحد والقضاء على الكثير من الجرائم المترتبة عن البطالة كالسرقة والسطو والنهب ، بل والقتل من أجل الحصول على المال.

ولقد بين الفقهاء رحمهم الله مكانة الزكاة في القضاء على البطالة حيث إنها تلعب دور الممول إذ تصرف للفقراء والمساكين ما يعينهم على العمل والتكسب، وفي هذا يقول الإمام النووي - رحمه الله - : « قالوا: فإن كانت عاداته الاحتراف أعطي ما يشتري به حرفته أو آلات حرفته قلت قيمة ذلك أم كثرت، ويكون قدره بحيث يحصل له من ربحه ما يفي بكفايته غالبا تقريبا، ويختلف ذلك باختلاف الحرف والبلاد والأزمان والأشخاص...»^(٢).

(١) البخاري: الجامع الصحيح - بالفتح - ، كتاب الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس، باب من استعاد من الدين، ٧٦ / ٥.

(٢)- النووي : المجموع شرح المهذب، ١٩٤ / ٦.

ونحن في هذا المقام نقيس العمل الخيري على الزكاة، وذلك بتمويل المشاريع الاستثمارية للقضاء على البطالة وحث الفقراء العاطلين على العمل للأكل من عرق جبينهم.

هذا وقد حث الإسلام على العمل ، في العديد من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ومن ذلك قوله تعالى : " وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون " التوبة ٥ ١٠ إذ لا شك أن العمل في الآية لا يقتصر على الأعمال الدينية العبادية فقط ، وإنما يعم جميع الأعمال الأخرى دنيوية أم أخروية، كما نجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يحث على العمل في أحاديث عديدة منها: «ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده»^(١).

وعن أنس بن مالك أن رجلاً من الأنصار أتى النبي -صلى الله عليه وسلم- يسأله فقال « أما في بيتك شيء ». قال بلى جئس^(٢) نلبس بعضه ونبسب بعضه وقعب^(٣) نشرب فيه من الماء. قال « انتنى بهما ». فأتاه بهما فأخذهما رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بيده وقال « من يشتري هدين ». قال رجل أنا أخذهما بدرهم. قال « من يزيد على درهم ». مرتين أو ثلاثا قال رجل أنا أخذهما بدرهمين. فأعطاهما إياه وأخذ الدرهمين وأعطاهما الأنصارى وقال « اشتر بأحداهما طعاماً فائده إلى أهلك واشتر بالآخر قدوماً فائتي به ». فأتاه به فسد فيه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عوداً بيده ثم قال له « اذهب فاحطب وبع ولا أريتك خمسة عشر يوماً ». فذهب الرجل يحطب ويبيع فجاء وقد أصاب عشرة دراهم فاشترى ببعضها ثوباً وببعضها طعاماً. فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- « هذا خير لك من أن تجيء المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة إن المسألة لا تصلح إلا لثلاثة

(١)- البخاري : الجامع الصحيح - بالفتح - ، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده، ٣٨٤/٤.

(٢)- جلس: جلس البيت ما يبسط تحت حر المتاع من مسح ونحوه. ابن منظور: لسان العرب، ١٦٧/٤.

(٣)- قعب: القعب القدح الضخم، الغليظ الجافي، وقيل قدح من خشب مقعر. الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، ٣٥/٤.

لِذِي فَفَرٍ مُدَّقِعٍ أَوْ لِذِي عُرْمٍ مُفْطَعٍ أَوْ لِذِي دَمٍ مُوجِعٍ» (١).

كما أن العمل الخيري يركز على توعية الناس بالمساهمة في مساعدة هذه الفئات المعوزة ، لأن ديننا الحنيف يحث على ذلك وفي هذا المجال نذكر ببعض أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم والتي تحث المؤمن على الشعور بأخيه المؤمن ومساعدته إن كان في حاجة إلى ذلك:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به" (٢) .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : « مَنْ نَقَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبٍ الدُّنْيَا نَقَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ ، يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَمَنْ سَنَّ رَسُولٌ مُسْلِمًا سُنَّةَ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ» (٣) .

فالعمل الخيري يزرع الاستقرار والطمأنينة في نفس المعطي ، لأن من يساهم بماله في الأعمال الخيرية يشعر بأن هذا العمل يؤدي إلى نماء المال وزرع البركة فيه، فإن هذا الجزء القليل الذي يدفعه يعود عليه أضعافا مضاعفة بالبركة في الدنيا، وبالثواب العظيم في الآخرة.

ولقد وردت آيات قرآنية وأحاديث نبوية كثيرة تبين ذلك .

فمن الآيات القرآنية :

قول الله تعالى: (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) [سبأ: ٣٩]، وقوله أيضا : (وَمَا أَنْتُمْ مِنْ رَبٍّ لَيْرَبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْتَبُوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا أَنْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ) [الروم: ٣٩]، وقوله أيضا: (يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ) [البقرة: ٢٧٦].

(١)-ابن ماجه : السنن ، باب: بيع المزايدة ٢ / ٧٤٠ ، و أبو داود: السنن، كتاب الزكاة، باب ما تجوز فيه المسألة، قال الألباني: ضعيف، ينظر: ضعيف سنن أبي داود ، ص ١٢٨، وقال الترمذي حديث حسن، ينظر: المنذري: الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، ١٤٣ / ٢ .

(٢)المتقي الهندي : كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ٩ / ٥٣ .

(٣) أحمد: المسند ٢٥٢/٢ .

ومن الأحاديث النبوية الشريفة :

ما رواه أبو هريرة : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «قال الله: أنفق يا ابن آدم أنفق عليك»^(١)، وقوله - صلى الله عليه وسلم - : « مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ »^(٢)، وقول النبي - صلى الله عليه وسلم - أيضا: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقا خلفا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكا تلفا»^(٣)، ودعاء الملائكة مستجاب كما هو معلوم ، وقوله - صلى الله عليه وسلم - : «من تصدق بعدل ثمرة من كسب طيب - ولا يقبل الله إلا الطيب -، فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يرببها لصاحبه كما يربي أحدكم فُلُوهُ حتى تكون مثل الجبل»^(٤).

كما أن من يساهم في العمل الخيري يحرص على تنمية ماله لكي يساهم به مرة أخرى ويشعر بأنه يتصف بصفات المتقين الذين ورد ذكرهم في قوله تعالى : (الم. ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ. الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) [البقرة: ١-٣].

والذي يعتاد الإنفاق مما بيده لغيره، والبذل من ملكه مواساة لإخوانه، ومساهمة في مصالح أمته، يبعد أشد البعد أن يعتدي على مال غيره ناهبا أو سارقا، فإنه ليصعب على من يعطي من ماله ابتغاء مرضاة الله، أن يأخذ ما ليس له لي جلب على نفسه سخط الله^(٥).

هذا وإن العمل الخيري يربط بين أفراد المجتمع برباط الأخوة والمحبة والتعاون، فإن الناس إذا علموا في الإنسان رغبته في نفعهم، وسعيه في جلب الخير لهم، ودفع الضير عنهم أحبوه بالطبع، ومالت نفوسهم إليه لا محالة^(٦)، وتصعد

(١)- البخاري : الجامع الصحيح - بالفتح -، كتاب النفقات، باب: فضل النفقة على الأهل وقول الله عز وجل: "وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ... " ٩ / ٤٩٧ .

(٢)- مسلم : الجامع الصحيح، كتاب البر والصلة والأدب، باب: استحباب العفو والتواضع، ح رقم: ٢٥٨٨.

(٣)- البخاري : الجامع الصحيح - بالفتح -، كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: "فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى... " ٣ / ٣٠٤ .

(٤)- البخاري : الجامع الصحيح - بالفتح -، كتاب الزكاة، باب: الصدقة من كسب طيب، ٣ / ٢٧٨ .

(٥)- القرضاوي: فقه الزكاة، ٣٥١-٣٥٣.

(٦)- القرضاوي: فقه الزكاة ٣٦٠.

إلى الله دعواتهم وتضرعاتهم من أجل هؤلاء الأغنياء الكرماء^(١)، فصارت الدعوات سببا لبقاء ذلك الإنسان في الخير الخصب^(٢).

وصفة القول:

أن العمل الخيري المتمثل في التكافل الاجتماعي ، وشعور الأغنياء بالفقراء ومد يد العون لهم يحدث قفزة نوعية في مجال الاستقرار الاجتماعي ، إذ بدلا من أن يتحصل هؤلاء الفقراء على حاجياتهم عن طريق السرقة والسطو والنهب والكذب يحصلون عليها عن طريق الحلال المتمثل في أخذ الصدقات والأعطيات من الأغنياء راضية بها نفوسهم مطمئنة بها قلوبهم قريرة بها عيونهم ، كما أن تفعيل مبدأ التكافل الاجتماعي في العمل الخيري يؤدي إلى القضاء على الروح الانتقامية المشحونة بالحسد والكراهة والبغض للأغنياء مما يجعل المجتمع يعيش في تآخ ووثام واستقرار، تسوده الأخوة الصادقة .

(١)-حسن أيوب: الزكاة في الإسلام ٣٥، وفقه العبادات بأدلتها في الإسلام، ٣٤٦.

(٢)-القرضاوي: فقه الزكاة ٣٦٠.

المطلب الثاني: دور العمل الخيري في القضاء على الخصومات

والإصلاح بين الناس

يسهم العمل الخيري في القضاء على المشاكل الاجتماعية والخلافات الأسرية ، وذلك عن طريق تفعيل دور الجمعيات التي تهتم بفض هذه النزاعات عن طريق جلسات الصلح ، قصد المحافظة على طهارة المجتمع وخلوه من الآفات الاجتماعية كالعداوات والشحناء والبغضاء والتفكك الأسري وقطع صلة الأرحام والطلاق وتشرذم الأطفال الذي يؤدي إلى نشأة جيل ناقم على مجتمع لا يهتم المحافظة على أمنه واستقراره ، وفي بعض الأحيان تتفاقم هذه الخلافات فتؤدي إلى إزهاق الأرواح من قتل وانتحار .

فكم من حروب أجمدت ودماء حفظت ومشاكل وخلافات أسرية حلت بسبب الصلح، الذي حث المولى عز وجل عليه في عديد الآيات القرآنية الكريمة منها :
قوله تعالى : ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ .﴾ (١).

وقوله عز وجل : ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ (٢).

وقوله تعالى: ﴿ لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ (٣).

وقال تعالى في الصلح بين الزوجين : ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ (٤).

وقال تعالى : ﴿ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾ [النساء : ١٢٨] .

(١) سورة الحجرات ، آية رقم : ٩ - ١٠ .

(٢) سورة الأنفال ، آية رقم : ١ .

(٣) سورة النساء ، آية رقم : ١١٤ .

(٤) سورة النساء ، آية رقم : ٣٥ .

كما حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصلح في أحاديث متعددة منها:

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : " كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ يَعْدِلُ بَيْنَ النَّاسِ صَدَقَةٌ " (١).

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّدَقَةِ وَالصَّلَاةِ ؟ قَالَ : قُلْنَا : بَلَى ، قَالَ : إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ ، وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ " (٢) ، وللترمذي " لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين " .

وعن سهل بن سعد الساعدي - رضي الله عنه - : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بَلَغَهُ أَنَّ بَنِي عَمْرٍو بن عَوْفٍ كَانَ بَيْنَهُمْ شَرٌّ ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يُصَلِّحُ بَيْنَهُمْ فِي أَنَاسٍ مَعَهُ ، فَحُبِسَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَحَانَتْ الصَّلَاةُ ، فَجَاءَ بِلَالٌ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، فَقَالَ : يَا أَبَا بَكْرٍ ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَدْ حُبِسَ وَحَانَتْ الصَّلَاةُ فَهَلْ لَكَ أَنْ تُوِّمَّ النَّاسَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، إِنْ شِئْتَ ، فَأَقَامَ بِلَالٌ الصَّلَاةَ ، وَتَقَدَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَكَبَّرَ وَكَبَّرَ النَّاسُ ، وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَمْشِي فِي الصُّفُوفِ حَتَّى قَامَ فِي الصَّفِّ ، فَأَخَذَ النَّاسُ فِي التَّصْفِيقِ ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - لَا يَلْتَفِتُ فِي الصَّلَاةِ ، فَلَمَّا أَكْثَرَ النَّاسُ فِي التَّصْفِيقِ التَّقَتَ ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، فَأَشَارَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَرَفَعَ أَبُو بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَدَهُ فَحَمِدَ اللَّهَ ، وَرَجَعَ الْقَهْقَرَى... " (٣)

فالملاحظ من خلال هذا الحديث الأخير حرص النبي صلى الله عليه وسلم على الإصلاح بين الناس إلى درجة أنه تأخر عن الصلاة من أجل القيام بهذه المهمة

(١) البخاري : الجامع الصحيح - بالفتح - ، كتاب: الصلح، باب : فضل الإصلاح بين الناس والعدل بينهم ٥ / ٣٠٩ .

(٢) أحمد: المسند ٤٤٤/٦ ، والترمذي : السنن ٦٦٣/٤ ، وقال : صحيح .

(٣) البخاري : الجامع الصحيح - بالفتح - ، كتاب: الأذان، باب : من دخل ليؤم الناس فجاء الإمام الأول / ٢ / ١٦٧ .

العظيمة ، بل لدرجة أنه صلى الله عليه وسلم رخص في الكذب من أجل الإصلاح بين الناس وتحقيق الاستقرار في المجتمع، فعن حميد بن عبد الرحمن أن أمه أم كلثوم بنت عتبة أخبرته أنها سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو يقول «ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فيئمي خيرا أو يقول خيرا» .^(١)

قال ابن شهاب ولم أسمع يُرخص في شيء مما يقول الناس كذب إلا في ثلاث الحرب والإصلاح بين الناس وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها. وعن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد عن النبي صلى الله عليه وسلم: " قال لا يصلح الكذب إلا في ثلاث كذب الرجل مع امرأته لترضى عنه أو كذب في الحرب فإن الحرب خدعة أو كذب في إصلاح بين الناس" ^(٢) .

والعمل الخيري يركز على توعية أفراد المجتمع بالصبر والتماس الأعذار ولم الشمل، والنظر إلى الإيجابيات وتعظيمها، وغض النظر عن السلبيات وتحقيرها، خاصة بين الزوج وزوجته ، امتثالا لتعاليم الإسلام حيث قال تعالى : ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ ^(٣) .

وقال عز وجل أيضا : ﴿ وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ ^(٤)

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقا ، رضي منها آخر » ^(٥) .

(١) البخاري : الجامع الصحيح - بالفتح - كتاب : الصلح ، باب : ليس الكاذب الذي يصلح بين الناس ٢٩٩ / ٥

(٢) أحمد: المسند ٤٥٩ / ٦ .

(٣) سورة النساء ، آية رقم : ١٩ .

(٤) سورة النساء ، آية رقم : ١٢٨ .

(٥) مسلم : الجامع الصحيح ، باب الوصية بالنساء ، ٤ / ١٧٨ ، أحمد: المسند ٣٢٩ / ٢ .

كما يركز العمل الخيري على نبذ الخلاف والشقاق والحسد والتباغض بين أفراد المجتمع ، وبيان بأنه لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام ، وهذا ما تبينه الأحاديث الآتية :

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : " لَا تَبَاغَضُوا ، وَلَا تَحَاسَدُوا ، وَلَا تَدَابَرُوا ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا ، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ." (١)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : " تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ ، وَيَوْمَ الْخَمِيسِ ، فَيَعْفَرُ اللَّهُ لِكُلِّ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلَّا رَجُلٌ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحَاءٌ ، فَيُقَالُ : اثْرُكُوا ، أَوْ أَنْظِرُوا هَدَيْنَ حَتَّى يَصْطَلِحَا." (٢)

ومجمل القول :

أن تفعيل دور العمل الخيري في الإصلاح بين المتخاصمين، ونبذ الشقاق والخلاف بينهم ، يؤدي إلى فض الخصومات، التي غالبا ما تكون مقترنة بجرائم لفظية أو بدنية ، تهز كيان المجتمع، وتضربه في مقتل، مما يستدعي لعب دور المطفئ للنار التي اشتعل أوارها، واحمر جمرها، وتناثرت جذوتها بين المتخاصمين من قبل القائمين على العمل الخيري، قصد زرع المودة والمحبة والتفاهم بين المتلاحيين (المتخاصمين) لتحقيق الألفة والمودة وتقريب وجهات النظر، هذه الأشياء التي من شأنها أن تعمق مبدأ الاستقرار وتجعل مجتمعاتنا هادئة مطمئنة.

(١) البخاري : الجامع الصحيح - بالفتح - ، كتاب : الأدب ، باب : ما ينهى عن التحاسد والتدابير ١٠ / ٤٨١

(٢) مسلم : الجامع الصحيح (٤/ ١٩٨٧ ، رقم ٢٥٦٥) .

المطلب الثالث: محاربة العمل الخيري للظواهر الاجتماعية السلبية

الناجمة عن ظاهرتي العنوسة وتأخر سن الزواج

يسهم العمل الخيري في الاستقرار الاجتماعي وذلك من خلال تفعيل دور الجمعيات الخيرية التي تسهم في تزويج الشباب ودعمه بتوفير المساعدات العينية الكفيلة بإقدامه على الزواج والقضاء على ظاهرتي العنوسة وتأخر سن الزواج، وما ينجر عنهما من آثار سلبية وآفات اجتماعية تفتت في عضد المجتمع وتخر كيانه وتقوض أركانه من القواعد كالزنا، وإجهاض الأجنة في الأرحام، أو قتلهم بعد الولادة قصد ستر الفضيحة، أو الرمي بهم أحياء في المزابل والأماكن العامة، وهذا يؤدي إلى كثرة اللقطاء، الذين ينشؤون وكلهم حقد وكره لأفراد المجتمع حيث ينظر إليهم البعض على أنهم عبء عليهم، وأنهم نتاج الفاحشة، فعندما يكبر هؤلاء اللقطاء من الناس من يرفض ارتباط بناتهم أو أبنائهم بهذه الفئة ويعتبر ذلك عارا، إذ يتحاشونهم على أساس أن العرق دساس، ويبقى الخطأ يلزم هؤلاء.

فيتدخل هنا العمل الخيري للقضاء على جميع هذه المشاكل الاجتماعية معالجا إياها من جذورها وفي بداياتها وذلك بتأسيس جمعيات خيرية هدفها مساعدة الشباب على الزواج، وذلك بمساهمتها بقسط مالي يساعد في تغطية تكاليف الزواج من مهر وتأثيث، ووليمة، وغالبا ما يكون هذا الزواج جماعيا مبرزا عظمة العمل الخيري الذي حث عليه ديننا الحنيف، قصد الوصول إلى طهارة المجتمع وعفته واستقراره، وذلك بالقضاء على ظاهرتي العنوسة للفتيات وتأخر سن الزواج للفتيان، إذ يعتبر الزواج هو الحل الذي من خلاله يتم القضاء على الآفات الاجتماعية والأمراض الجنسية، فكم من جريمة زنا أدت إلى تقاتل وتناحر بين عائلتين كانتا متحابتين، أو إلى إيجاد لقطاع لا ذنب لهم، أو إلى تقشي أوجاع وأمراض لم تكن في أسلافنا الطاهرين الطيبين، مما يجعل العمل الخيري حصنا واقيا وقلعة منيعة للحفاظ على طهارة المجتمع ونقائه من جميع أسباب الشقاق

والخلاف والعداوة بين أبنائه وذلك من خلال غلق الباب وإيصاده أمام رياح الرذيلة العاتية، وبالتالي المساهمة في تحقيق الاستقرار الاجتماعي .

إذ يعد الزواج هو السبيل الوحيد لإشباع الغريزة الجنسية وفي ذلك وقاية للنفس من الوقوع في الفاحشة، إذ الشريعة الإسلامية نهت عن أية علاقة بين الرجل والمرأة خارج إطار الزواج، حيث قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ... وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾ (١) وقال أيضا: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ (٢)

فلقد حرصت الشريعة الإسلامية على تطهير أفراد المجتمع من الأمراض المتفشية بسبب العلاقات غير الشرعية، كمرض السيدا والزهري والسيلان.

فعن ابن عمر - رضى الله عنهما- قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " كيف أنتم إذا وقعت فيكم خمس، و أعوذ بالله أن تكون فيكم أو تدركوهن ما ظهرت الفاحشة في قوم قط فعُمل بها فيهم علانية، إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم. " (٣)

فيكون البديل هو الزواج الذي يعد راحة حقيقة للرجل والمرأة، فالمرأة تجد من يكفل لها رزقها، والرجل إذا عاد للبيت شعر بالراحة والسعادة بعد العمل، فتُدرك حكمة الخالق في خلق كل من الجنسين على نحو يجعله موافقاً للآخر، ملبياً لحاجاته الفطرية، نفسية كانت أو عقلية أو جسدية، بحيث يجد عنده الراحة والطمأنينة والاستقرار، كما يجدان في اجتماعهما السكن والاكتفاء، والمودة والرحمة، لأن تركيبهما النفسي والعصبي والعضوي ملحوظ فيه تلبية رغائب كل

١ - المؤمنون : ١ و ٢ و ٥ - ٧ .

٢ - الإسراء: ٣٢ .

٣ - البيهقي : شعب الإيمان، كتاب: باب الثاني و العشرين من شعب الإيمان - و هو باب في الزكاة التي جعلها الله تعالى جده قرينة للصلاة، باب: التشديد على من منع زكاة ماله ٣ / ١٩٧

منهما في الآخر، وائتلافهما وامتزاجهما في النهاية لإنشاء حياة جديدة تتمثل في جيل جديد. (١)

إضافة إلى تكوين علاقة بين أسرتين كانتا متباعدتين وذلك عن طريق المصاهرة (٢) وفي ذلك توسيع لدائرة التعارف بين المسلمين وتقوية أواصر المحبة بين العائلات، مما يولد مجتمعاً قوياً مترابطاً متماسكاً مستقراً. (٣)

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ (٤)، وقال أيضا: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ (٥).

هذه الوشائج الأسرية التي تسهم في تقارب أبناء المجتمع، والتي تكون لها انعكاسات وتأثيرات إيجابية على أفرادها بحيث ينشأ في ظلها الأبناء تنشئة سوية كاملة في رعاية أب وأم حنونين مُربيين بخلاف الابن الضائع اللقيط الذي لا يعرف أباه أو أمه، فينشأ غير سوي النفس وغالبا ما يكون حاقداً ومجرماً، يحاول الانتقام من أبناء المجتمع، ويتعلم المرء في ظل مؤسسة الزواج ما له من حقوق وما عليه من واجبات، فنترسخ عنده المشاعر الإنسانية من إيثارٍ وحبٍ للغير، وتعود على تحمّل المسؤولية، حيث يكتسب في ظلها الصفات والخصائص الاجتماعية الحميدة، والدعائم الأولى للشخصية السوية النافعة للمجتمع، مع شعور كل من الزوجين بالمسؤولية الزوجية، مما يكون باعثاً على النشاط وبذل الوسع وتفجير الطاقات والملكات والمواهب من أجل توفير حياة كريمة للأبناء فالأب ينطلق للعمل من أجل النهوض بأعباء الزواج، والقيام بواجباته، مما يؤدي إلى تنمية الثروة

١ - موقع : www.alzatari.org ... موضوع للدكتور الشيخ علاء الدين الزعتري بعنوان: "المقاصد الشرعية في الأسرة".

٢ - القرضاوي: برنامج الشريعة والحياة، قناة الجزيرة. موقع: www.islamicmedicine.org

٣ - موقع : www.alzatari.org.. موضوع للدكتور الشيخ علاء الدين الزعتري بعنوان: "المقاصد الشرعية في الأسرة".

٤ - الحجرات: ١٣

٥ - الفرقان: ٥٤

وكثرة الإنتاج، وإلى استغلال خيرات الله في هذا الكون وما أودع فيه من أشياء
ومنافع للناس، وهذا يؤديّ دون شك لنهضة المجتمع وتقدُّمه، واستقراره.^(١)

والخلاصة أن للعمل الخيري دورا فعالا في دفع عجلة الزواج الذي من
خلاله تصان الأعراض، وتدرأ الأمراض، وتحقق الأعراض المتمثلة في القضاء
على أسباب الفرقة والشقاق بين أبناء المجتمع الواحد ، مما يجعله ينعم بالأخوة
الصادقة، والمحبة الدافقة، والاستقرار الدائم.

١ - موقع : [www . alzatari org](http://www.alzatari.org) .موضوع للدكتور الشيخ علاء الدين الزعتري بعنوان: "المقاصد
الشرعية في الأسرة " .

المطلب الرابع: نشر العمل الخيري لروح العطف والرحمة في المجتمع والتكفل بالعجزة وكبار السن وتوعية الفروع بالإحسان

إلى الأصول

إن العمل الخيري يساهم في زرع روح العطف والحب والرحمة والشفقة بين أبناء المجتمع ، وذلك عن طريق العناية بالعجزة وكبار السن ، وتوعية الأبناء والأقارب بضرورة التكفل بهم وبيان الأجر العظيم الذي يتحصلون عليه، وبالتالي القضاء على ظاهرة عقوق الوالدين وما ينجر عنها من سلبيات في الدنيا والآخرة ، ونشر خصلة الإحسان إلى الوالدين، مع بناء مراكز لإيواء كبار السن ممن لا كافل لهم من ذوي القرابات والأرحام .

فلقد حرص الإسلام على العناية بهذه الفئة من العجزة وكبار السن، حتى يكون مجتمعه خلوا من المظاهر المشينة المتمثلة في أكل شبيبة هؤلاء وعدم الاعتناء بشيبتهم ، بل إن الإسلام راعى هذا الحق لجميع مواطنيه ، ولو لم يكونوا يدينون بالإسلام، فعن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) : أنه مر بشيخ من أهل الذمة يسأل على أبواب المساجد، فقال: ما أنصفناك أن كنا أخذنا منك الجزية في شبيبتك، ثم ضيعناك في كبرك، ثم أجرى عليه من بيت المال ما يصلحه.^(١)

هذا مع تذكير الفروع بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحث على

العناية بالأصول، والتي منها:

١- قول الله ﷻ: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ)^(٢).

١ - المتقي الهندي: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ٤ / ٤٩٨.

(٢) البقرة: ٨٣.

٢- وقوله تعالى: (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا)^(١).

٣- وقوله جل ثناؤه: (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)^(٢).

٤- وقوله ﷺ: (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا)^(٣).
وكذا الأحاديث النبوية الشريفة ، الحاتة على البر بالوالدين وعدم عقوقهما،
والتي منها:

عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: سألت رسول الله ﷺ: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: «الصلاة على وقتها» قال: ثم أي؟ قال: «ثم بر الوالدين» قال: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله»^(٤).

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال هاجر إلى رسول الله ﷺ رجل من اليمن، فقال له رسول الله ﷺ: «هجرت الشرك ولكنه الجهاد هل باليمن أبواك؟» قال: نعم، قال: «أذن لك؟» قال: لا، فقال رسول الله ﷺ: «ارجع إلى أبويك فإن فعلا وإلا فبرَّهما»^(٥).

كما يجب على العمل الخيري أن يُعرّف الأبناء بثمرات البر بالوالدين في الدنيا والآخرة، وذلك عن طريق المحاضرات، والندوات، والمطويات، وجلسات الاتصال المباشر بالمقصرين منهم، مما يكون حافزا لإيقاظ ضمير الخير في نفوسهم، وقتل بذرة الشر في كياناتهم، وتحريك الوازع الديني في قلوبهم مما يجعلهم

(١) النساء: ٣٦.

(٢) الأنعام: ١٥١.

(٣) الإسراء: ٢٣.

(٤) البخاري: الجامع الصحيح - بالفتح -، كتاب الصلاة، باب فضل الصلاة في وقتها، ٢ / ٩ .

(٥) ابن الجارود: المنتقى ٢٥٩/١.

يتوبون من قريب، ويعودون إلى جادة الصواب، بسلوك طريق بر الوالدين والإحسان إليهما، وإعادة المياه إلى مجاريها الطبيعية بين الأصول والفروع، يملؤها الحب الفياض، والود المتدفق والعطف المفعم بالحنان والشفقة، فيتولد عن ذلك الشعور بالاستقرار الأسري الذي يعد الخلية الأساسية والنواة الفاعلة للاستقرار الاجتماعي.

ولتوضيح إسهام العمل الخيري في نشر وتوضيح ما يحصل عليه الأبناء من ثمرات يانعات يجنون قطافها في الدنيا والآخرة، ارتأينا تعداد بعضها قصد توضيح الصورة، وإجلاء حقيقة الاستقرار المترتب عن تحصيل هذه الثمرات.

فمن ثمرات بر الوالدين في الدنيا: (١)

- ارتياح الضمير بأداء الواجب ورد الجميل، بامتثال أمر الله في بر الوالدين، إذ بر الوالدين سبب في بر الأبناء ، قال رسول الله ﷺ: «بروا آباءكم تبركم أبناؤكم»(٢).
- - إطالة العمر والتوسيع في الرزق ودفع ميتة السوء (٣)، لقوله ﷺ: «من بر والديه طوبى له زاد الله في عمره»(٤).
- - استجابة الدعاء وتفريج الكرب، ويتجلى لنا ذلك من خلال حادثة الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة، ودعا كل واحد منهم بصالح أعماله ، ففرج الله عنهم (٥).

فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ « بَيْنَا نَقْرُ ثَلَاثَةَ يَمْتَنُونَ أَخَذَهُمْ مَطَرٌ، فَأَوْوَأُوا إِلَى غَارٍ فِي جَبَلٍ، فَأَنْحَطَتْ عَلَى غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ، فَأَطْبَقَتْ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: انظُرُوا أَعْمَالًا عَمِلْتُمُوهَا صَالِحَةً، فَادْعُوا اللَّهَ بِهَا لَعَلَّهُ يُفَرِّجُهَا، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي وَالِدَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَامْرَأَتِي

(١) ينظر في ذلك مذكرة تخرج بعنوان: حقوق الوالدين بين الواجب الشرعي وضياعه دراسة مقارنة، للطالبتين: مسعى حدة و مناع ريمة، إشراف الأستاذة الدكتورة سعاد سطحي والتي نوقشت بجامعة الأمير عبد القادر للإسلامية قسنطينة، خلال السنة الجامعية: ٢٠٠٦ / ٢٠٠٧ م.

(٢) الحاكم: المستدرک، کتاب: البر والصلة، باب: البر والصلة، ١٧٠/٤، والطبرانی فی الأوسط ٢٩٩/١ .

(٣) عطية صقر: موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام ص٢٨.

(٤) الحاكم: المستدرک علی الصحیحین، کتاب: البر والصلة، باب: البر والصلة، ١٧٠/٤.

(٥) عطية صقر: موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام، ٦٩/٥، وابن الجوزي: بر الوالدين ١٤٢.

وَصَبِيَّةٌ صِغَارٌ، فَكُنْتُ أُرْعَى عَلَيْهِمْ، فَإِذَا رُحْتُ عَلَيْهِمْ حَلَبْتُ، فَبَدَأْتُ بِوَالِدَيَّ أَسْتَقِيهُمَا قَبْلَ صَبِيَّتِي وَأَهْلِي، وَإِنِّي أَحْتَسِبُ يَوْمًا، فَلَمْ آتِ حَتَّى أُمْسَيْتُ، فَوَجَدْتُهُمَا قَدْ نَامَا، فَحَلَبْتُ كَمَا كُنْتُ أُحَلِّبُ، وَجِئْتُ بِالْحَلَابِ، فَفُئْتُ عِنْدَ رُءُوسِهِمَا أَكْرَهُ أَنْ أَوْقِظَهُمَا مِنْ نَوْمِهِمَا، وَأَكْرَهُ أَنْ أَبْدَأَ بِالصَّبِيَّةِ قَبْلَهُمَا وَالصَّبِيَّةُ يَبْضَاعُونَ عِنْدَ رِجْلِي، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَائِي، وَدَائِبُهُمْ، حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ، فَأَنْتَ تَعْلَمُ إِنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهَكَ، فَافْرُجْ لَنَا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ، فَفَرَجَ اللَّهُ مِنْهَا فُرْجَةً فَرَأُوا السَّمَاءَ، ...» (١).

ومن ثمرات بر الوالدين في الآخرة: (٢)

■ البر بالوالدين يرضي الله ويكفر الذنوب: قال الإمام أحمد- رحمه الله-: «بر الوالدين كفارة الكبائر». وعن ابن عمرَ ، أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي أَصَبْتُ ذَنْبًا عَظِيمًا ، فَهَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ ؟ قَالَ : " هَلْ لَكَ مِنْ أُمِّ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : هَلْ لَكَ مِنْ خَالَةٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَبِرَّهَا" (٣).

وعن عطاء بن يسار عن ابن عباس ؓ أنه أتاه رجل فقال: إني خطبت امرأة فأبت أن تنكحني وخطبها غيري فأحبت أن تنكحه، فغرت عليها فقتلتها، فهل لي من توبة؟ قال: أمك حية؟، قال: لا، قال: تب إلى الله وتقرب إليها ما استطعت، فذهب، فسألت ابن عباس ؓ لم تسأله عن حياة أمه؟، فقال: إني لا أعلم عملاً أقرب إلى الله من بر الوالدة». (٤)

■ البر سبب رضوان الله، ودخول الجنة: فعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «رضا الرب في رضا الوالد، وسخط الرب في سخط الوالد». (٥)

(١) البخاري: الجامع الصحيح، - بالفتح - كتاب: الأدب: باب إجابة دعاء من بر والديه، ٤٠٤/١٠ . أحمد: المسند ٤ / ٢٧٤ .

(٢) ينظر في ذلك مذكرة تخرج بعنوان: حقوق الوالدين بين الواجب الشرعي وضياعه دراسة مقارنة، للطالبتين: مسعي حدة ومناع ريمة، إشراف الأستاذة الدكتورة سعاد سطحي والتي نوقشت بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية فسنطينة، خلال السنة الجامعية: ٢٠٠٦ / ٢٠٠٧ م.

(٣) مسند الصحابة في الكتب التسعة .

(٤) البخاري: الأدب المفرد ١ / ١٥ ، قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٥) البيهقي: شعب الإيمان ٦ / ١٧٧ ، والحاكم: المستدرک ٤ / ١٦٨ ، وقال: صحيح على شرط مسلم .

كما ورد أن جاهمة جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله: أردت أن أغزو وقد جئت أستشيرك، فقال: «هل لك أم»؟، قال: نعم، قال: «فالزمهما فإن الجنة تحت رجليها»^(١) (٢).

وعن أبي هريرة روى عن النبي ﷺ قال: رغم أنف، ثم رغم أنف، ثم رغم أنف، قيل من يا رسول الله؟ قال: من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كليهما، فلم يدخل الجنة^(٣).

كما يجدر بنا أن نشيد وننوه بالمنظومة القانونية الجزائرية الحريصة على استقرار المجتمع من خلال المحافظة على هذه الفئة الهشة فيه، والعناية بها، وذلك من خلال إعداد مشروع لمعاقبة المتخلفين عن كفالة آبائهم وأمهاتهم بالسجن والغرامات المالية الرادعة، ونعم ما صنعوا.

(١) النسائي: السنن، كتاب الجهاد، باب: الرخصة في التخلف لمن له والدته، ١١/٦.

(٢) سعيد عبد العظيم: أسباب عقوق الأبناء وطرق علاجها، ٤٠.

(٣) البيهقي: شعب الإيمان، باب عقوق الوالدين وجاء فيه، ١٩٥/٦.

المطلب الخامس: إسهام العمل الخيري في القضاء على ظاهرة

الإدمان على المخدرات وآثارها السلبية

إن الناظر في واقعنا المعيش والأليم ليشعر بالحسرة والأسى مما يشاهده من ظواهر سلبية وخيمة تنجر عنها آفات اجتماعية تفت في عضد المجتمع ، ويأتي في مقدمة ذلك ظاهرة الإدمان على المخدرات، هذه الظاهرة الغريبة والدخيلة عن المجتمع المسلم، والتي تصيبه في مقتل لتعلقها بالمساس ببعض الكليات الخمس التي جاءت الشريعة الغراء للحفاظ عليها، إذ تمس بقداسة النفس والعقل والمال والدين والعرض، إذ هي موت بطيء وتغييب للعقل وتبذير للمال وانتهاك لحرمتي الدين والعرض، فكم من مأس انجرت عن تناول هذه الحشيشة الخبيثة، إذ تطالعنا الصحف عن جرائم فظيعة أبطالها من متناولي المخدرات، تصل إلى حد السرقة والقتل وزنا المحارم والاعتصاب واللواط، هذا فضلا عن التفكك الأسري الذي تعيشه بعض عائلات المدمنين ، كتشرد الأبناء والاعتداء على الزوجات، والتلاعب بالطلاق، مما يجعل هذه الأسر تعيش حياة ملؤها المرارة والضنك وعدم الاستقرار الذي يؤدي في غالب الأحيان إلى الاهتزاز النفسي لأفراد هذه الأسرة ، بل إلى إقدام البعض منها على الانتحار، والارتداء في أحضان الرذيلة، ورفقاء السوء، مما يجعل العمل الخيري يقوم بدور المنقذ لهؤلاء ، قصد تحقيق الاستقرار الاجتماعي لهذه الفئات المهتزة ، والتي يكون خطرها فتاكا بنقاوة وطهارة المجتمع ، وذلك عن طريق تفعيل الدور التوعوي المبين لخطورة الإدمان على المخدرات وذلك بالتمويل الخيري لإلقاء المحاضرات، وإقامة الملتقيات، وبث الحصص الإذاعية والتلفزيونية، والومضات الإشهارية، وتنشيط الدروس المسجدية، وطبع وتوزيع المطويات التوعوية المتعلقة ببيان مخاطر ظاهرة الإدمان على الفرد والمجتمع وما ينجر عنها من آثار سلبية ، مما يستدعي دق ناقوس الخطر، وتضافر جميع الجهود للقضاء عليها، ومعالجة من سقط في حماتها ، وذلك بتمويل مشاريع بناء مراكز العلاج الخاصة بهذه الفئات التي ضلت السبيل وتنكبت عن صراط الفطرة السوي

وهي لا تدري مقدار الجناية والألم الذي سببته لنفسها وأسررتها ومجتمعها ، وقد
وضح ذلك الدكتور وهبة الزحيلي (حفظه الله) الذي بين أن الضرر الناجم عن
تعاطي المسكرات والمخدرات متعدد الجوانب ففيها ضرر بالشخص ذاته، وبأسرته
وأولاده، وبمجتمعه وأمته.

أما الضرر الشخصي: فهو التأثير الفادح في الجسد والعقل معاً، لما في
المسكر والمخدر من تخريب وتدمير الصحة والأعصاب والعقل والفكر ومختلف
أعضاء جهاز الهضم وغير ذلك من المضار والمفاسد التي تفتك بالبدن كله، بل
وبالاعتبار الأدبي والكرامة الإنسانية، حيث تهتز شخصية الإنسان، ويصبح موضع
الهزاء والسخرية، وفريسة الأمراض المتعددة.

وأما الضرر العائلي: فهو ما يلحق بالزوجة والأولاد من إساءات، فينقلب
البيت جحيماً لا يطاق من جراء التوترات العصبية والهيياج والسب والشتم وترداد
عبارات الطلاق والحرام، والتكسير والإرباك، وإهمال الزوجة والتقصير في
الإنفاق على المنزل، وقد تؤدي المسكرات والمخدرات إلى إنجاب أولاد معاقين
متخلفين عقلياً.

وأما الضرر العام: فهو واضح في إتلاف أموال طائلة من غير مردود نفعي،
وفي تعطيل المصالح والأعمال، والتقصير في أداء الواجبات، والإخلال بالأمانات
العامّة، سواء بمصالح الدولة أو المؤسسات أو المعامل أو الأفراد.

هذا فضلاً عما يؤدي إليه السكر أو التخدير من ارتكاب الجرائم على
الأشخاص والأموال والأعراض، بل إن ضرر المخدرات أشد من ضرر المسكرات؛
لأن المخدرات تفسد القيم الخلقية." (١)

بل إن العمل الخيري لا ينبغي له أن يتوقف عند المدمن فحسب بل يتجاوز
ذلك إلى توعية بئعي ومروجي هذه الحشيشة الخبيثة ، والنظر في الظروف
والأسباب الاقتصادية والاجتماعية والنفسية للمدمنين ، وذلك بتدخل العمل الخيري

(١) الفقه الإسلامي وأدلته ٧ / ٤٤١ .

للقضاء عليها ، وهذا بسعيه للبحث عن هذه الأسباب ومحاولة معالجتها ، وذلك بعرضها على أهل الاختصاص لاجتثاث المشكلة من جذورها.

هذا فضلا عن ضرورة إسهام العمل الخيري في بيان حرمة هذه المخدرات وتوعية أفراد المجتمع خاصة الشباب منهم بذلك، مع التذكير بأقوال العلماء في حكم تناولها وبيعها وترويجها، لتنفير الشباب من الاتجار بها والإدمان عليها.

قال الشيخ صالح بن فوزان : " والخمر كل مسكر سواء سميت خمرا أو سميت شرابا روحيا وكذلك من باب أولى وأشد بيع المخدرات من الحشيش والأفيون وغير ذلك من المخدرات التي انبعثت على الناس في هذا الزمان فالذي يبيعها ويروجها مجرم في حق المسلمين وفي حق العالم كله لأن المخدرات قضاء على البشرية فهي سلاح هدام .

فالذي يبيع المخدرات أو يروجها أو يساعد المروجين لها كلهم يدخلون في لعنة رسول الله ﷺ وثمانها من أخبث المحرمات ومن أقبح السحت، ومروجها يستحق القتل لأنه من المفسدين في الأرض" (١).

كما يسهم العمل الخيري في بيان ما توصل إليه العلم الحديث من نتائج خطيرة على صحة الإنسان من خلال إدمانه على هذه المخدرات، وذلك بعقد ندوات علمية طبية ينشطها أطباء مختصون يكشفون النقاب ويميطون اللثام عن المخاطر الصحية الناجمة عن تناول المخدرات ، ويبرزون الحقائق العلمية المرة المترتبة عن تناولها، و يأتي في مقدمتها الإيدز، الذي ينتشر بحدة في أوساط المدمنين، لا سيما مستعملي الحقن المخدرة، وكذا التهاب الكبد الفيروسي من نوع B والإنتان الدموي وغيرها من الأمراض الخبيثة . (٢)

والمحصلة أن العمل الخيري بقضائه على هذه الظاهرة يساهم في القضاء على هذه المشكلات الخطيرة، مما ينتج عن ذلك الاستقرار الاجتماعي، وذلك عن

(١) صالح بن فوزان : فقه وفتاوى البيوع ١٣٠ .

(٢) محمود زكي شمس: أساليب مكافحة المخدرات في الوطن العربي ٥١ - ٥٤ .

طريق الحد من السرقة، والقتل والطلاق والتشرد ، والاعتصاب والتحرش الجنسي،
والعزلة، والانتحار ، وصحبة الأشرار ، والابتعاد عن ذكر الله وعن الصلاة .
قال الإمام ابن القيم (رحمه الله تعالى): "والفتنة نوعان: النوع الأول فتنة
الشبهات وهي أعظم الفتن، وفتنة الشهوات وقد يجتمعان للعبد، وقد ينفرد
بإحدهما".

المطلب السادس : بعث العمل الخيري لرسالة المسجد

لاشك أن للمسجد دورا رياديا في بعث العمل الخيري، إذ يعد منبرا ناطقا باسمه في توعية الناس بالاهتمام بفعل الخير وذلك من خلال الدروس المسجدية، والخطب المنبرية، والندوات والمحاضرات التي تعقد فيه، من قبل ذوي الاختصاص في جميع مناحي الحياة التي يحتاجها الناس في واقعهم المعيش، إن من حيث توجيههم التوجيه السليم، وإن من حيث غرس الأخلاق الفاضلة في رواد المسجد، مما يجعلهم من حملة هذه الأخلاق إلى أسرهم وواقعهم المعيش، مما يكون رافدا من روافد الاستقرار الاجتماعي ، كيف لا ؟ والمسجد هو دار الإسلام الأولى، إذ كان مقرا لتصحيح العقيدة، وتدريس العلوم النافعة والقضاء على المتخصصين ، وعلاج مرضى المسلمين، ومكانا للتدريب والرياضة ومقرا للحكم والشورى ، ودارا للفقراء والمساكين والغرباء .^(١)

ويكفي المسجد مكانة في بث الطمأنينة والاستقرار والأمن والأمان في المجتمع عن طريق التوعية الدينية التي يمارسها وروده في القرآن الكريم ستا وأربعين مرة .^(٢)

ولا شك أن شيئا يتكرر ذكره هذه المرات كلها إلا دليل على أهميته ومكانته في حياة الأمم والأفراد وأن له دور القيادة والريادة في التوجيه والتعليم والإرشاد، هذه الأشياء التي تنتج أفرادا أسوياء متعلمين متخلقين يسهمون في استقرار المجتمع وعيشه في رغد وسلام وطمأنينة يحس فيه الغني بالفقير والكبير بالصغير، والصحيح بالمرضى، والقادر بالعاجز، مما يولد العطف والمحبة والاحترام المتبادل بين أبناء المجتمع الواحد .

غير أننا لاحظنا في هذه الأزمنة المتأخرة انحسارا وتقهقرا لدور بعض المساجد في تفعيل العمل الخيري، وذلك بتخلي الكثير منها عن رسالتها الاجتماعية المنوطة بها في الإسلام، وهذا بسبب عجز بعض القائمين عليها علميا وفكريا، مما

(١) نصر سلمان : رسالة المسجد في الإسلام بحث منشور بمجلة مخبر الدراسات الشرعية ، جامعة الأمير عبد القادر ، العدد الثالث ، ٢٤١ - ٢٤٩ .

(٢) محمد الداودي : المسجد في الكتاب والسنة وأقوال العلماء ٩ وما بعدها .

جعلها لا تؤدي رسالتها الخيرية على الوجه الأكمل، ويصدق فيها قول الشاعر
الأستاذ الدكتور نصر سلمان :

يا مسجدي يا موطن الضياء
ومسكن الغريب في تاريخنا
جيوشنا من مسجدي قد خرجت
على حصائر لمسجدي
وشيّدت بساحم مجالس
قد جنّت يا مسجدنا لبابكم
لم ألقها فقلت يا إلهنا
وما الذي أفرغها من روحها
وما الذي جرّدها من دورها
ولم تجد أسئلتني إجابة
قائلة أخرجتني بسؤلكم
بساحتي تقاتلوا تطاحنوا
وقزمت رسالتي وأهملت
وبعدما حاورني وردّ عن
ثم انصرفت مرغداً ومزبداً

ومنبع الوصال والإخاء
ومجمع العلوم والنقاء
وحطمت معاقل الأعداء
قد أرسيت دعائم القضاء
للذكر والعلوم والإفتاء
مفتشاً عن هذه الأشياء
فما الذي دهى حظيرة السماء
وما الذي أرجعها حجارة جوفاء
وما الذي أخرجها من عالم الأحياء
إلى نطق صخورها الصمّاء
رسالتي قد عقها الأبناء
وغيرهم قد جاوز الجوزاء
مبادئ شرانم دهماء
أسئلتني أجهشت بالبكاء
مردداً سيرجع الضياء

المطلب السابع: توظيف العمل الخيري للعلم النافع لتحقيق

الاستقرار الاجتماعي

إن من أجلّ ما تنفق فيه الأموال، وتبذل فيه الأعمال الخيرية، وتخصص له الأوقات، نشر العلوم النافعة لإنارة درب أبناء المجتمع، واستغلال أوقاتهم وشغلهم بما فيه فائدة ومصلحة قصد القضاء على الجهل، والامية، والتخلف الفكري، الذي ينعكس لا محالة على سلوكات الأفراد سلبيا، إذ لا مخلص من ذلك إلا بيت العلوم وترقيتها، وذلك عن طريق بناء المدارس القرآنية والنظامية، والمراكز العلمية، وطبع المصاحف والكتب المفيدة التي تنشر الفضيلة وتحارب الرذيلة، وتصلق السلوك، وتقوم الأخلاق، وتربط الإنسان بمقومات دينه الحنيف، فتجعل منه فردا سويا في المجتمع، يتألم لآلامه، ويحزن لأتراحه، ويفرح لأفراحه، مما يجعل أفرادهم كاللحمة الواحدة، يصدق فيهم قوله صلى الله عليه وسلم: " مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ ، مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحَمَى ".^(١)

ولا شك أن مجتمعا يعيش أفراده بهذا الشعور الوارد في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون متماسكا تماسك الجبال الراسيات التي لا تؤثر فيها العواصف ولا تزيلها القواصف، مستقرا آمنة مطمئنا، لا تروعه الجرائم التي غالبا ما يكون مقترفوها من الجهلة، وذوي المستوى العلمي المحدود، إذ العلم للمجتمعات كالهواء للأحياء البشرية، وصدق الإمام الجليل ابن القيم (رحمه الله) حين بين مكانة العلم للقلوب، وأنها لا حياة لها إلا به فقال: " إن الله سبحانه جعل العلم للقلوب كالمطر للأرض، فكما أنه لا حياة للأرض إلا بالمطر فكذلك لا حياة للقلب إلا بالعلم".^(٢)

والعمل الخيري بمساهمته في نشر العلم يؤدي إلى إحياء القلوب وزرع الخير والتواضع والعمل الصالح بين أفراد المجتمع، ومعرفة الآداب والأخلاق التي

(١) مسلم: الجامع الصحيح ٤/١٩٩٩، وأحمد: المسند ٤/٢٧٠.

(٢) مفتاح دار السعادة ١٦٨.

يجب التحلي بها، والتفقه في الدين والتزام حدود الله عز وجل، وذلك بمعرفة الحلال والحرام، وهذا كله له دور كبير في تحقيق الاستقرار الاجتماعي، وعليه فإنه يجب على القائمين على العمل الخيري الإنفاق بسخاء على نشر هذه العلوم، لا سيما ما تعلق منها بالقرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، وصدق من قال :

أفضل ما يتلى وما يقال وخير ما ينفق فيه المال
قراءة القرآن عند الناس كذا روى أئمة القياس

وقول القائل أيضا :

أهل الحديث هم أهل الرسول وإن لم يصحبوا نفسه أنفاسه صحبوا
هذا فضلا عن نشر العلوم الدنيوية الأخرى لمواكبة الرقي الحضاري،
والتقدم الفكري، مما يجعلنا نقول جازمين أن مجتمعا يتخلق أفراده بأخلاق القرآن
والسنة، وينهلون من رضاب العلم النافع وسلسبيله العذب، يكونون أحق بالأمن
والاستقرار والسكينة والطمأنينة في واقعهم المعيش، ومجتمعاتهم الراقية .

المطلب الثامن: تفعيل العمل الخيري لدور الأوقاف قصد تحقيق

الاستقرار الاجتماعي

لقد كان المسلمون عبر تاريخهم المجيد يعطون الأوقاف المكانة اللائقة بها وذلك لما يؤملونه من الحصول على الأجر ورضى الله عز وجل ، بل يعتبرونها بابا عظيما من أبواب الإنفاق المشروعة في الإسلام، إذ لعب طوال عصور التاريخ دورا كبيرا في التكافل الاجتماعي وسد ثغرات جليلة فمن إنشاء مساجد إلى إنشاء مدارس ومستشفيات إلى تعليم طلاب ونسخ كتب العلم والقرآن ، إلى جعله بابا من أبواب القرض الحسن، وتعويض أهل الأسر المنكوبة عما يلحق بهم من نكبات وإيواء اليتامى واللقطاء وتطبيب الحيوان .^(١)

قال الإمام السيوطي (رحمه الله) :

إذا مات ابن آدم ليس يجري	عليه من خصال غير عشر
علوم بثها ودعاء نجل	وغرس النخل والصدقات تجري
وراثه مصحف ورباط ثغر	وحفر البئر أو إجراء نهر
وبيت للغريب بناه يأوي	إليه أو بناء محل ذكر
وتعليم لقرآن كريم	فخذها من أحاديث بحصر ^(٢)

ولقد كان سلفنا الصالح يولي العناية الكبرى للأوقاف، إذ لم تكن مقتصرة على سد جوعة الجائعين وتنفيس كربة المكروبين، بل تجاوزت ذلك إلى الأوقاف الترفيحية كبناء القصور الفخمة للفقراء والمساكين حتى لا تكون هذه القصور حكرا على الأغنياء، وحتى لا يشعر الفقراء بالدونية، ومن ذلك القصر الذي بناه نور الدين زنكي بربوة دمشق حين رأى بها قصورا عديدة للأغنياء فحز في نفسه ألا يقدر فقراء المسلمين على التمتع بالقصور الفارهة التي يتنعم فيها أصحاب الأموال من الأغنياء، فبنى لهم قصرا غاية في الجمال والأناقة والفخامة ووقفه عليهم، وقد خلد ذلك تاج الدين الكندي بقوله:

(١) محمد الصادق عفيفي : المجتمع الإسلامي وفلسفته المالية والاقتصادية ٧٠ .
(٢) محمد بن عبد العزيز بن عبد الله : الوقف في الفكر الإسلامي ١ / ١٠٦ - ١٠٧ .

إن نور الدين لما أن رأى في البساتين قصور الأغنياء
عمر الربوة قصرا شاهقا نزهة مطلقة للفقراء (١)

وهنا نقول يجب على الخلف حذو وتقفي أثر السلف في إحياء الأوقاف،
وتوعية الناس بأهميتها الدنيوية وأجرها الأخروي، وذلك لكونها صمام أمان للعمل
الخيرى الذي يحتاج إلى تمويل تسد شطرا كبيرا منه الأموال الوقفية، إذ تسهم هذه
الأوقاف في القضاء على الجهل، ونشر العلم، وذلك بالإنفاق على طلبة العلم ،
وطبع الكتب النافعة ، وبناء دور العلم المختلفة، وتطبيب المرضى، وسد جوعه
الفقراء والمساكين، مما يجعلها تغرس في نفوس هؤلاء حب المنفقين، من أبناء
المجتمع، الذين أنقذوهم من براثن الجهل وأنياب المجاعة، وفتك الأمراض،
والقضاء على الآثار السلبية الناتجة عن الفقر والحاجة التي أشرنا إليها سابقا ،
خاصة أثناء حديثنا عن التكافل الاجتماعى الذي يجلب الاستقرار والسكينة، والراحة
النفسية للمنفق والآخذ على السواء، والذي يعد الوقف من أبرز مظاهره قديما
وحديثا.

وصدق الشاعر نصر سلمان حين حث أبناء هذا الجيل على إحياء الأوقاف
واسترداد ما اغتصب منها مبرزا أهميتها الخيرية، داعيا لتثميرها في العمل الخيرى
وخدمة أبناء المجتمع حيث يقول:

ألا أيها المخلصون الكرام	هلموا لننفض هذا الركام
ونحيي أوقاف أسلافنا	ونرجعها من أيادي اللئام
ونسعى لتثميرها جاهدين	لكي يحصل المقصد المسترام
بنشر المحامد في قومنا	وبذل المزيد من الاهتمام
بكل القضايا التي تخدم	ديانتنا أو بنينا الكرام
فتخلو أحيائنا من فقير	ويعلو مساجدنا الابتسام
وتزخر بالمكتبات الجيلة	فيقهر نور العلوم الظلام
ويرجع دور الزوايا الأصيل	ويخرج أعلامها كالسهام

(١) بشير علي كرد : خطط الشام / ٥ / ١٠٩ .

ونبني المشافي في كل المشاتي
ونبني دورا تضم الغريب
ألا أيها المعتدون أفيقوا
وردّوا لأملاك أوقافنا
فأكل الحرام يصدّ الدُعاء
وأدعو وسائل إعلامنا
وتوعية المسلمين بوقف
ودور كبير على عاتق
بإيقاظ أمتنا من سبات
من الموقفين نفائس مال
إذا لم نحافظ على وقفنا
ودسنا على رغبة الموقفين

لنقضي على سبب للسقام
ونحيي تاريخنا المستهام
فإنه بعد الحياة الحِمَام
ولا تُشغلوا في الدُنى بالحطام
وينذر آكله بالسقام
لنشر الفضائل بين الأنام
يبث التكافل يجلي الغمام
أئمتنا المخلصين العظام
وتذكيرها بصنيع الكرام
نظير جنان بدار الدوام
خسرنا المبادئ والاحترام
فعلّمنا مع الميتين السّلام

الخاتمة

- بعد بياننا لبعض مظاهر العمل الخيري ودورها في تحقيق الاستقرار الاجتماعي يمكننا تسجيل النتائج الآتية:
- ١- إسهام العمل الخيري في القضاء على العديد من الظواهر الاجتماعية السلبية، وتقديم البدائل الفعالة لها .
 - ٢- إسهام العمل الخيري في نشر المودة والمحبة والرحمة، وربط صلات الأخوة بين أفراد المجتمع وذلك بالقضاء على الروح الانتقامية في نفوس الفقراء نحو الأغنياء.
 - ٣- زرع العمل الخيري للفرحة والبسمة على شفاه المعوزين من الفقراء والمساكين ممن لا حرفة لهم، وكذا الأرامل والأيتام ممن لا كافل لهم ولا معيل.
 - ٤- اهتمام العمل الخيري بشريحة ذوي الاحتياجات الخاصة كالمسنين والعجزة الذين عظم الدهر بنابه ممن لا كافل لهم، ولا منفق من ذوي قرابة موجبة للنفقة.
 - ٥- إسهام العمل الخيري في القضاء على الخصومات والمشاحنات، وذلك بفضها عن طريق جلسات الصلح، والحمالات المالية التي تقدم إرضاء لأحد طرفي الخصومة.
 - ٦- إسهام العمل الخيري في القضاء على الأمراض الفتاكة التي تعصف بسلامة أفراد المجتمع، وذلك بتفعيل العمل التطوعي للأطباء والمختصين لفحص المرضى وتشخيص أمراضهم، مع بناء المستشفيات والصيدليات اللازمة للعلاج.
 - ٧- للمسجد والأوقاف دور كبير في تفعيل العمل الخيري، إذ يكون دور الأول منهما التوعوية والحث عليه، وثانيهما تمويل الأعمال الخيرية المنوطة بالاستقرار الاجتماعي .

٨- إسهام العمل الخيري في نشر العلم والمعرفة والوعي، والقضاء على الأمية والجهل والتخلف الفكري بين أبناء المجتمع الإسلامي.

والخلاصة:

أن المتأمل لهذه النتائج يلحظ أن جميعها يؤدي إلى الاستقرار الاجتماعي، إذ يكون المجتمع سعيدا مستقرا إذا قضي فيه على الظواهر السلبية، وفُعلت فيه مبادئ التكافل والمودة، وقضي فيه على الأمراض الفتاكة، وبنث بين أبنائه العلوم النافعة والمعرفة الصحيحة، فلا شك أنه سيكون في طليعة المجتمعات أمانا وبشرا وسرورا وحبورا واستقرارا .

هذا مع إمكانية تسجيل التوصيات والمقترحات الآتية :

- ١- وجوب تفعيل العمل الخيري، وترقيته من عمل فردي تكون دائرة نفعه ضيقة النطاق إلى عمل مؤسساتي منظم، يعم ريعه شرائح أوسع من المجتمع .
- ٢- ضرورة تفعيل دور المسجد والمدرسة، ووسائل الإعلام في حث الناس على تدعيم وممارسة العمل الخيري، وذلك ببيان فوائده الدنيوية، والأخروية على الأفراد والمجتمعات المسلمة.
- ٣- تعيين الأمانة والثقافت وأهل العلم والكفاءة في الإشراف على أموال العمل الخيري جمعا وإنفاقا، حتى لا يعبث بها أصحاب النفوس الضعيفة أمام سلطان المال وسطوته.
- ٤- إصدار تعليمات حكومية صارمة وراذعة للمتلاعبين بأموال العمل الخيري، مع استرداد الأملاك الوقفية التي عبثت بها أيادي من لا يخافون الله، ولا يفرقون بين الحلال والحرام.
- ٥- التأكيد على ضرورة تجاوز العمل الخيري عموما، والأوقاف خصوصا للجوانب الاجتماعية، لتشمل النواحي العلمية حتى تعود للعلم مكانته الرائدة عن طريق تمويل إرسال بعثات النابغين، والتميزين للخارج للنهل العلمي، وبناء المدارس الخيرية.

- ٦- إدراج جملة من الدروس الحاثثة على العمل الخيري، والتكافل الاجتماعي في ثنايا برنامج مادة التربية الإسلامية في منظوماتنا التربوية، وعلى مستوى جميع الأطوار التعليمية بدءا بالمراحل التعليمية الأولى وانتهاء بالجامعة .
- ٧- تشجيع الأغنياء وأهل المال على البذل والعطاء دعما للعمل الخيري مع تذليل كل السبل القانونية للقيام بذلك.

وفي الأخير نسال الله عز وجل لملتقاكم النجاح والسداد، وللقائمين عليه التوفيق والرشاد، وأن يثقل بمجهوداتكم المبذولة في خدمة العمل الخيري ميزان حسناتكم يوم العرض الأكبر عليه، أمين أمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن اتبع هداه إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

قائمة المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- أحمد بن حنبل، المسند، تحقيق، شعيب الأرنؤوط وآخرون الطبعة : الثانية ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م مؤسسة الرسالة ، بيروت لبنان.
- ٣- الألباني محمد ناصر الدين، ضعيف سنن أبي داود لسليمان بن الأشعث السجستاني، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- ٤- البخاري: محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- ٥- الأدب المفرد محمد فؤاد عبد الباقي الطبعة الثالثة ، ١٤٠٩ - ١٩٨٩ ، دار البشائر الإسلامية - بيروت، لبنان .
- ٦- البيهقي : أبو بكر أحمد بن الحسين ، شعب الإيمان، تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول، الطبعة الأولى، ١٤١٠ ، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان.
- ٧- الترمذي: محمد بن عيسى أبو عيسى السلمي، السنن ، ت: أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- ٨- ابن الجارود، المنتقى، ت: عبد الله البارودي، ط١، ١٩٨٨، مؤسسة الكتاب، بيروت، لبنان.
- ٩- ابن الجوزي، بر الوالدين، تحقيق: خالد طرطوشي، دار الكتاب العربي، ط١، ٢٠٠٥، بيروت، لبنان.
- ١٠- الحاكم، المستدرک على الصحيحين، ت: مصطفى عطا، ط١، ١٩٩٠، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ١١- حسن أيوب، فقه العبادات بأدلتها في الإسلام، ط٣، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٥م، دار السلام.
- ١٢- الزكاة في الإسلام، ط٢، ١٤٩٣هـ-١٩٧٤م.

- ١٣- أبو داود السجستاني سليمان بن الأشعث ، السنن ، ط١ ، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م ، مؤسسة غراس، الكويت.
- ١٤- الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ط١ ، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ١٥- سعيد عبد العظيم، أسباب عقوق الأبناء وطرق علاجها، دار الإيمان.
- ١٦- صالح بن فوزان وآخرون، فقه وفتاوى البيوع، ط : ٢ / ١٩٩٦ م ، مكتبة أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- ١٧- الطبراني: أبو القاسم سليمان بن أحمد ، المعجم الأوسط، تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين - القاهرة .
- ١٨- عطية صقر، موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام، ط: ١٩٩٠، الدار المصرية للكتاب، القاهرة.
- ١٩- القرضاوي يوسف، فقه الزكاة، ط٣ ، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م ، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- ٢٠- ابن القيم ، مفتاح دار السعادة، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان .
- ٢١- ابن ماجه: محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني ، السنن، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر – بيروت، لبنان.
- ٢٢- المتقي الهندي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- ٢٣- محمد بن عبد العزيز بن عبد الله ، الوقف في الفكر الإسلامي، مطبعة فضالة، المملكة المغربية، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م .
- ٢٤- محمد الداودي، المسجد في الكتاب والسنة وأقوال العلماء، ط: ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، ١٩٨٨ م .
- ٢٥- محمد الصادق عفيفي ، المجتمع الإسلامي وفلسفته المالية والاقتصادية، ط : ١٩٨٠ م ، دار النشر: ؟ .

٢٦- محمد كرد علي، خطط الشام، ط : مطبعة الترقى بدمشق ١٣٤٥ هـ/١٩٢٦م.

٢٧- محمود زكي شمس، أساليب مكافحة المخدرات في الوطن العربي - فقها ، تشريعاً، اجتهاداً - دمشق .

٢٨- مسلم: أبو الحسين بن الحجاج بن مسلم، الجامع الصحيح، دار الجيل بيروت و دار الآفاق الجديدة بيروت، لبنان.

٢٩- المنذري: زكي الدين عبد العظم بن عبد القوي، الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، ط٣، ١٣٩٩ هـ-١٩٧٩م، دار الفكر، بيروت، لبنان.

٣٠- ابن منظور، لسان العرب، تح: عامر أحمد حيدر، ط١، ١٤٢٦ هـ-٢٠٠٥م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٣١- النووي ، المجموع شرح المذهب ، دار الفكر، بيروت، لبنان.

٣٢- وهبة الزحيلي ، الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر ، دمشق ، سورّيّة.

٣٣- الرسائل الجامعية :

حقوق الوالدين بين الواجب الشرعي وضياعه دراسة مقارنة، مذكرة تخرج للطالبتين : مسعي حدة ومناع ريمة، إشراف الأستاذة الدكتورة سعاد سطحي والتي نوقشت بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، خلال السنة الجامعية: ٢٠٠٦ / ٢٠٠٧ م.

٣٤- المجالات:

نصر سلمان : رسالة المسجد في الإسلام بحث منشور بمجلة مخبر الدراسات الشرعية، العدد الثالث، سنة : ٢٠٠٥م، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، قسنطينة، الجزائر.

٣٥- مواقع الانترنت :

موقع : www.alzatari.org

موقع : www.islamicmedicine.org

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
ملخص البحث	٢
المقدمة	٣
المطلب الأول - أثر العمل الخيري في إرساء مبدأ التكافل الاجتماعي	٤
المطلب الثاني - دور العمل الخيري في القضاء على الخصومات والإصلاح بين الناس	١٠
المطلب الثالث - محاربة العمل الخيري للظواهر الاجتماعية السلبية الناجمة عن ظاهرتي العنوسة وتأخر سن الزواج	١٤
المطلب الرابع - نشر العمل الخيري لروح العطف والرحمة في المجتمع والتكفل بالعجزة وكبار السن وتوعية الفروع بالإحسان إلى الأصول	١٨
المطلب الخامس - إسهام العمل الخيري في القضاء على ظاهرة الإدمان على المخدرات وآثارها السلبية	٢٣
المطلب السادس - بعث العمل الخيري لرسالة المسجد	٢٧
المطلب السابع - توظيف العمل الخيري للعلم النافع لتحقيق الاستقرار الاجتماعي	٢٩
المطلب الثامن - تفعيل العمل الخيري لدور الأوقاف قصد تحقيق الاستقرار الاجتماعي	٣١
الخاتمة	٣٤
قائمة المصادر والمراجع	٣٧
فهرس المحتويات	٤٠